

الْعُمَاظِرَةُ الـ (١٦): قُرَاءَةُ الْكُتُبَاتِ الْمَسِيحِيَّةِ

الْأَغْلَبِيَّةُ الْمَسِيحِيَّةُ أُمَّةٌ

[In the preceding section our discussion focused on the canonization of scripture. As we saw earlier, however, many kinds of books were being written and read by Christians in the early centuries, not just the books that made it into the New Testament. There were other gospels, acts, epistles, and apocalypses; there were records of persecution, accounts of martyrdom, apologies for the faith, church orders, attacks on heretics, letters of exhortation and instruction, expositions of scripture—an entire range of literature that helped define Christianity and make it the religion it came to be. It would be helpful at this stage of our discussion to ask a basic question about all this literature. Who, actually, was reading it?] Page 36, 37.

في الباب السابق تركزنا نقاشنا حول تثمين الكُتُب المُقدَّسة. وكما رأينا سابقاً، رغم ذلك، كان المسيحيون يكتبون ويقرأون أنواع كثيرة من الكُتُب في القرون الأولى، وليس فقط الكُتُب التي نبحث في أن تُصَبِّح جزءاً من العهد الجديد. لقد كان ثمة أناجيل أخرى، أعمال، رسائل، و رؤى؛ لقد كان هناك تدوين للاضطهادات، حكايات عن الاستشهاد، كتب دفاعيات عن الإيمان، نُظُم كنسية، هجمات على الهرطقة، رسائل عظات وتعاليم، شروحات للكُتُب المُقدَّسة - منظومة كاملة من الأعمال الأدبية التي ساعدت في تحديد المسيحية وجعلها تلك الديانة التي أصبحت الآن. سيكون من المفيد في هذه المرحلة من نقاشنا أن نسأل سؤالاً أساسياً حول هذه الأعمال الأدبية كلها. من الذي، في الواقع، كان يقوم بقراءتها؟

[In the modern world, this would seem to be a rather bizarre question. If authors are writing books for Christians, then the people reading the books would presumably be Christians. When asked about the ancient world, however, the question has special poignancy because, in the ancient world, most people could not read.] Page 37.

في عالم اليوم، ربما سيبدو ذلك سؤالاً غريباً نوعاً ما. فلو كان المؤلفون يكتبون كُتُباً من أجل المسيحيين، فالذين يقرأون الكُتُب سيكونون ولا بد من المسيحيين. فإذا كان السؤال مُوجَّه بخصوص العالم القديم، مع ذلك، فإنه سيمثَّل مرارة خاصة لأن غالبية الناس، في العالم القديم، كانوا أميين.

[Literacy is a way of life for those of us in the modern West. We read all the time, every day. We read newspapers and magazines and books of all kinds—biographies, novels, how to books, self-help books, diet books, religious books, philosophical books, histories, memoirs, and on and on. But our facility with written language today has little to do with reading practices and realities in antiquity.] Page 37.

معرفة القراءة والكتابة هي أسلوب حياة بالنسبة لنا في الغرب المعاصر. نحن نقرأ طوال الوقت، كل يوم. نقرأ الجرائد والمجلات والكتب من كل الأنواع - سير الشخصيات، الروايات، الكتب "كيف تفعل كذا" (how-to books)، كتب "اعتمد على نفسك" (تساعد على الاعتماد على النفس) (self-help books)، كتب الأنظمة الغذائية، كتب دينية، كتب فلسفية، علوم التاريخ، مذكرات، وهكذا بلا توقف. لكن السهولة التي نشعر بها اليوم مع اللغة المكتوبة ليست لها أي علاقة بممارسات القراءة وحقائقها في العصور القديمة.

[Studies of literacy have shown that what we might think of as mass literacy is a modern phenomenon, one that appeared only with the advent of the Industrial Revolution. It was only when nations could see an economic benefit in having virtually everyone able to read that they were willing to devote the massive resources—especially time, money, and human resources—needed to ensure that everyone had a basic education in literacy.] Page 37.

الدراسات المتعلقة بمعرفة القراءة والكتابة أظهرت أن ما نعتقد أنه حول المعرفة الجماهيرية للقراءة والكتابة هي ظاهرة حديثة، ظهرت فقط مع بزوغ الثورة الصناعية. حدثت فقط عندما رأت الأمم فائدة اقتصادية في جعل كل شخص قادراً على القراءة إلى الدرجة التي جعلتهم مستعدين أن يكرسوا كل الموارد الضخمة - خاصة الوقت، المال، والموارد البشرية - التي يحتاجونها للتأكد من أن كل إنسان حصل على قدر أساسي من التعليم يؤهله للقراءة والكتابة.

[In nonindustrial societies, the resources were desperately needed for other things, and literacy would not have helped either the economy or the wellbeing of society as a whole. As a result, until the modern period, almost all societies contained only a small minority of people who could read and write.] Page 37.

في المجتمعات غير الصناعية، كانت الموارد مطلوبة بدرجة كبيرة لأشياء أخرى، ومعرفة القراءة والكتابة لم تكن تساعد لا اقتصاد ولا رفاهية المجتمع ككل. وفي المَحْصَلَة، إلى قبل العصر الحالي، كل المجتمعات تقريباً كانت تَضُمُّ أقلية صغيرة فحسب من القادرين على القراءة والكتابة.

[This applies even to ancient societies that we might associate with reading and writing—for example, Rome during the early Christian centuries, or even Greece during the classical period. The best and most influential study of literacy in ancient times, by Columbia University professor William Harris, indicates that at the very best of times and places—for example, Athens at the height of the classical period in the fifth century B.C.E.—literacy rates were rarely higher than 10 15 percent of the population.] Page 37.

شرح كتاب: تحريف أقوال يسوع، ل بارت إيرمان [٣]

وهذا يَنْطَبِقُ حتى على المُخْتَمَعَاتِ القديمة التي نستطيع أن نجد لها علاقة بالقراءة والكتابة - على سبيل المثال، روما في أثناء القرون المسيحية المُبَكَّرَة، أو حتى اليونان في أثناء الفترة الكلاسيكية. أفضل دراسة وأكثرها تأثيراً عن مَعْرِفَة القراءة والكتابة في الأزمنة القديمة، التي كتبها ويليام هاريس البروفيسور بجامعة كولومبيا، تُشير إلى أنه في أفضل الأوقات والأماكن - أثينا، على سبيل المثال، في أوج الفترة الكلاسيكية في القرن الخامس قبل الميلاد - مُعَدَّلَاتِ القراءة والكتابة كانت نادراً ما تَتَعَدَّى نِسْبَة ١٠ - ١٥ في المائة من إجمالي عدد السُّكَّانِ.

[To reverse the numbers, this means that under the best of conditions, 85 90 percent of the population could not read or write. In the first Christian century, throughout the Roman Empire, the literacy rates may well have been lower.] Page 37, 38.

لكي نَعْكِسِ الأرقام، هذا يعني أنه في أفضل الظروف، ٨٥ - ٩٠ في المائة من السُّكَّانِ لم يكن بإمكانهم القراءة ولا الكتابة. في القرن المسيحي الأول، في مُخْتَلَفِ أنحاء الإمبراطورية الرومانية، مُعَدَّلَاتِ مَعْرِفَة القراءة والكتابة ربما كانت أقل إلى حد ما.

[As it turns out, even defining what it means to read and write is a very complicated business. Many people can read but are unable to compose a sentence, for example. And what does it mean to read? Are people literate if they can manage to make sense of the comic strips but not the editorial page? Can people be said to be able to write if they can sign their name but cannot copy a page of text?] Page 38.

كما سَيَنْضِح، حتى وَضِعَ تَعْرِيفٌ لما تعنيه: "القُدْرَة على القراءة والكتابة" هو عمل شديد التعقيد. كثير من الناس يمكنهم القراءة لكنهم غير قادرين على تكوين جملة، على سبيل المثال. وما هو معنى أن تعرف القراءة؟ هل الأشخاص الذين يعرفون القراءة والكتابة، هم الذين باستطاعتهم التَّوَصُّلُ إلى معنى الشرائط المُصَوَّرَة "الكاريكاتير" في حين لا يعرفون معنى الصفحة الافتتاحية؟ هل يُمكننا أن نقول عن هؤلاء إنهم يعرفون الكتابة لو كان باستطاعتهم توقيع أسمائهم في الوقت الذي لا يستطيعون فيه نسخ صفحة تحتوي على نص؟

[The problem of definition is even more pronounced when we turn to the ancient world, where the ancients themselves had difficulty defining what it meant to be literate.] Page 38.

مُشكلة التَّعْرِيفِ تَبْدُو أكثر وضوحاً عِنْدَمَا نُطَبِّقُها على العالم القديم، حيث كان لدى القُدَمَاءِ أنفسهم صعوبة في تحديد معنى أن تكون عارفاً للقراءة والكتابة.

[One of the most famous illustrative examples comes from Egypt in the second Christian century. Throughout most of antiquity, since most people could not write, there were local "readers" and "writers" who hired out their services to people who needed to conduct business that required written texts: tax receipts, legal contracts, licenses, personal letters, and the like.] Page 38.

أحد الأمثلة التوضيحية الأكثر شهرة تأتي من مصر في القرن المسيحي الثاني. طوال مُعظَم العصور القديمة، حيث لم يكن مُعظَم الناس يعرفون الكتابة، كان ثمة "قُراء" و "كُتاب" أُجروا خدماتهم لمن يحتاج من الناس للقيام بالأعمال التي تَتطلَّب نُصُوصًا مَكْتُوبَةً: وصولات الضرائب، عقود قانونية، تراخيص، رسائل شخصية، وما شابه.

[In Egypt, there were local officials who were assigned the task of overseeing certain governmental tasks that required writing. These assignments as local (or village) scribes were not usually sought after: as with many "official" administrative posts, the people who were required to take them were responsible for paying for the job out of pocket. These jobs, in other words, went to the wealthier members of the society and carried a kind of status with them, but they required the expenditure of personal funds.] Page 38.

في مصر، كان ثمة موظفون رَسْمِيُّون تم تَعْيِينُهُم للقيام بمهمة مراقبة بعض المهام الحكومية التي تتطلب معرفة الكتابة. هذه الوظائف كُنَسَاخ محليين (أو في القرى) لم تكن عادة يُسعى إليها: فمثل كثير من الوظائف الإدارية "الرسمية"، كان الناس الذين يُطلَب إليهم أن يَتَوَلَّوْهَا مَطْلُوب منهم دَفْع أموال من جيوبهم للحصول على هذه الوظيفة. هذه الوظائف، بمعنى آخر، كانت تذهب إلى الأفراد الأكثر ثراءً داخل المجتمع وكانت تحمل بالنسبة لهم نوعاً من المنزلة، لكنها كانت تتطلب إنفاقاً من أموالهم الشخصية.

[The example that illustrates the problem of defining literacy involves an Egyptian scribe called Petaus, from the village of Karanis in upper Egypt. As often happened, Petaus was assigned to duties in a different village, Ptolemais Hormou, where he was given oversight of financial and agricultural affairs. In the year 184 C.E., Petaus had to respond to some complaints about another village scribe from Ptolemais Hormou, a man named Ischyron, who had been assigned somewhere else to undertake responsibilities as a scribe.] Page 38.

المثال الذي يُصَوِّر مُشكَلَةَ تعريف معنى "معرفة القراءة والكتابة" تتعلق بأحد النُساخ المصريين وكان يُدعى "بتاوس"، من قرية "كارانيس" في صعيد مصر. كما يحدث كثيراً، عُيِّن بيتاوس للقيام بواجباته في قرية أخرى، "بتوليمائس هورمو"، حيث أوكلت إليه مُهْمَةُ الإشراف على الشؤون المالية والزراعية. في عام ١٨٤ ميلادياً، كان من المُفْتَرَض أن يقوم بالرد على شكاوى مُوجَّهَةً ضد ناسخ قرية أخرى من "بتوليمائس هورمو"، وهو شخص يدعى "إسخيريون"، الذي كان قد عُيِّن في مكان آخر للقيام بمسؤولياته كناسخ.

[The villagers under Ischyron's jurisdiction were upset that Ischyron could not fulfill his obligations, because, they charged, he was "illiterate." In dealing with the dispute Petaus argued that Ischyron wasn't illiterate at all, because he had actually signed his name to a range of official documents. In other words, for Petaus "literacy" meant simply the ability to sign one's name.] Page 38, 39.

سُكَّان القرية تحت ولاية "إسخيريون" كانوا مُنزعجين بسبب عجزه عن القيام بواجباته، لأنه، كما اتهموه: كان "أُمِّيًّا". في تعامله مع هذا النزاع جادل "بتاوس" قائلاً: إن "إسخيريون" لم يكن أُمِّيًّا على الإطلاق، لأنه كان قد وُقِع بالفعل باسمه على مجموعة من الوثائق الرسمية. بطريقة أخرى، من وجهة نظر "بتاوس"، "معرفة القراءة والكتابة" كانت تعني ببساطة القدرة على التوقيع باستخدام الاسم.

[Petaus himself had trouble doing much more than that. As it turns out, we have a scrap of papyrus on which Petaus practiced his writing, on which he wrote, twelve times over, the words (in Greek) that he had to sign on official documents: "I Petaus, the village scribe, have submitted this." What is odd is that he copied the words correctly the first four times, but the fifth time he left off the first letter of the final word, and for the remaining seven times he continued to leave off the letter, indicating that he was not writing words that he knew how to write but was merely copying the preceding line. He evidently couldn't read even the simple words he was putting on the page. And he was the official local scribe!] Page 39.

"بيتاوس" نفسه كان يجد مَشَقَّةً في التَّوْقِيعِ على الوثائق أكثر من ذلك بكثير. فلدينا قُصاصة من البردي، عليها مارَسَ "بيتاوس" قُدْرته على الكتابة، حيث كتب عليها، لأكثر من اثني عشر مرة، كلمات (باليونانية) بأنه كان مُتَوَجِّباً عليه تَوْقِيع وثائقاً رسمية: " أنا بيتاوس، ناسخ القرية، قمت بتحرير هذه". الأمر الغريب أنه قام بِنَسْخِ الكلمات في المرات الأربع الأولى بطريقة صحيحة، لكنه في المرة الخامسة أغفل الحرف الأول من الكلمة الأخيرة، وفي المرات السبع الباقية استمر في إغفال الحرف، مُشِيراً إلى أنه لم يكن يكتب كلمات يعرف كيف يكتبها وإنما كان ينسخ ليس إلا السطر السابق ذكره. من الواضح أنه لم يكن باستطاعته القراءة حتى الكلمات البسيطة التي كان يضعها في الصفحة. رغم أنه كان الناسخ المحلي الرسمي !

[If we count Petaus among the "literate" people in antiquity, how many people could actually read texts and make sense of what they said? It is impossible to come up with an exact figure, but it appears that the percentage would not be very high.] Page 39.

لو وضعنا "بيتاوس" بين "العارفين للقراءة والكتابة" في العصور القديمة، فكم من الناس كان بإمكانهم قراءة النصوص فعلياً وفهم معناها ؟ من المستحيل أن نَتَّوَصَّلَ إلى رقم دقيق، لكن يبدو أن النسبة المئوية لن تكون عالية أبداً.

[There are reasons for thinking that within the Christian communities, the numbers would have been even lower than in the population at large. This is because it appears that Christians, especially early on in the movement, came for the most part from the lower, uneducated classes. There were always exceptions, of course, like the apostle Paul and the other authors whose works made it into the New Testament and who were obviously skilled writers; but for the most part, Christians came from the ranks of the illiterate.] Page 39.

هناك أسباب للاعتقاد بأنه في داخل المجتمعات المسيحية، كانت الأرقام حتى أقل من ذلك بوجه عام. هذا بسبب أن المسيحيين فيما يبدو، خاصة في وقت مُبَكَّرٍ من عمر الحركة، كانوا في الغالب مُنْحَدِرِينَ من الطَّبَقَاتِ الدُّنْيَا غير المُتَعَلِّمَةِ. دائماً ما كانت هناك استثناءات بالطبع، مثل الرُّسُولِ بولس والمؤلفين الآخرين الذين دخلت أعمالهم ضمن العهد الجديد والذين كانوا بشكل واضح كُتَّاباً ماهرين. ولكن بالنسبة للأغلبية، المسيحيون جاءوا من الطبقات الأُمِّيَّة.

شرح كتاب: تحريف أقوال يسوع، ل بارت إيرمان [٦]

[This is certainly true of the very earliest Christians, who would have been the apostles of Jesus. In the Gospel accounts, we find that most of Jesus's disciples are simple peasants from Galilee—uneducated fishermen, for example. Two of them, Peter and John, are explicitly said to be "illiterate" in the book of Acts (4:13).] Page 39.

هذا بالتأكيد هو الوضع الصحيح للمسيحيين الأوائل، الذين كانوا رؤساء يسوع. في روايات إنجيلية، نجد أن معظم تلاميذ يسوع كانوا فلاحين بسطاء من الجليل - صيادين غير مُتعلِّمين، على سبيل المثال. اثنان منهما، بطرس ويوحنا، قيل عنهما بوضوح أنهما كانا "أميين" في سفر الأعمال (٤ : ١٣).

[The apostle Paul indicates to his Corinthian congregation that "not many of you were wise by human standards" (1 Cor. 1:27)—which might mean that some few were well educated, but not most.] Page 39, 40.

بولس الرسول يُشير لشعب كنيسته الكورنثيين إلى أن "قليل منكم من هم حكماء بالمقاييس البشرية" (١ كو ١ : ٢٧) - التي ربما تعني أن البعض القليل كانوا حاصلين على تعليم جيد، لكن ليس الأغلبية.

[As we move into the second Christian century, things do not seem to change much. As I have indicated, some intellectuals converted to the faith, but most Christians were from the lower classes and uneducated.] Page 40.

فإذا تقدمنا إلى القرن المسيحي الثاني، يبدو أن الأمور لم تتغير كثيراً. كما أشرتُ، بعض المُتعلِّمين آمنوا، لكنَّ مُعظم المسيحيين كانوا من الطبقات الدنيا وغير المُتعلِّمة.

[Evidence for this view comes from several sources. One of the most interesting is a pagan opponent of Christianity named Celsus who lived in the late second century. Celsus wrote a book called The True Word, in which he attacked Christianity on a number of grounds, arguing that it was a foolish, dangerous religion that should be wiped off the face of the earth.] Page 40.

الأدلة على صحة هذه الرؤيا تأتي من مصادر عديدة. واحدة من أكثرها طرافة هو أحد الوثنيين من حُصوم المسيحية المسمى "كيلسوس" والذي عاش في أواخر القرن الثاني. كتب "كيلسوس" كتاباً اسمه "كلمة الحق"، هاجم فيه المسيحية لعدة أسباب، مُجادلاً بأنها ديانة حمقاء خطيرة يجب مسحها من على وجه الأرض.

شرح كتاب: تحريف أقوال يسوع، ل بارت إيرمان [٧]

[Unfortunately, we do not have The True Word itself; all we have are quotations from it in the writings of the famous Christian church father Origen, who lived about seventy years after Celsus and was asked to produce a reply to his charges. Origen's book Against Celsus survives and is our chief source of information about what the learned critic Celsus said in his book directed against the Christians.] Page 40.

للأسف، لا نملك "كلمة الحق" ذاتها؛ وكل ما لدينا هو اقتباسات منها وردت في كتابات أوريجانوس أحد الآباء المشهورين في الكنيسة، الذي عاش بعد كيلسوس بسبعين عاماً وطُلب إليه أن يكتب رداً على اتهاماته. كتاب أوريجانوس "ضد كيلسوس" نجا من الضياع وهو مصدر معلوماتنا الرئيسي عما قاله الناقد المتعلم "كيلسوس" في كتابه ضد المسيحيين.

[One of the great features of Origen's book is that he quotes Celsus's earlier work at length, line by line, before offering his refutation of it. This allows us to reconstruct with fair accuracy Celsus's claims. One of these claims is that the Christians are ignorant lower class people. What is striking is that in his reply, Origen does not deny it.] Page 40.

أحد أهم خصائص كتاب أوريجانوس هو أنه يقتبس من كتاب "كيلسوس" القديم بشكل مُطوّل، سطرًا بسطر، قبل أن يقدم تفنيده لها. هذا يسمح لنا بإعادة بناء دعاوى "كيلسوس" بدقة متناهية. أحد هذه الدعاوى هو أن المسيحيين هم أناس جاهلون من الطبقات الدنيا. الأمر اللافت للنظر أن أوريجانوس، في ثنايا رده، لم ينكر ذلك.

[Consider the following charges made by Celsus. [The Christians'] injunctions are like this. "Let no one educated, no one wise, no one sensible draw near. For these abilities are thought by us to be evils. But as for anyone ignorant, anyone stupid, anyone uneducated, anyone who is a child, let him come boldly." (Against Celsus 3.44)] Page 40.

تأمل الاتهامات التالية التي وجَّهها "كيلسوس": الوصايا المسيحية هي كالاتي: "لا تتركوا شخصاً مُتعلِّماً، أو حكيماً، أو عقلاً نبيّاً يقترب. لأن هذه المُدِّرات حسب اعتقادنا هي قدرات شريرة. أما الشخص الجاهل، الشخص الغبي، الشخص غير المُتعلِّم، الشخص الذي هو مثل طفل، فلتتركوه يأتي بجسارة". (ضد كيلسوس ٣ . ٤٤)

[Moreover, we see that those who display their secret lore in the marketplaces and go about begging would never enter a gathering of intelligent men, nor would they dare to reveal their noble beliefs in their presence; but whenever they see adolescent boys and a crowd of slaves and a company of fools, they push themselves in and show off. (Against Celsus 3.50)] Page 40, 41.

فوق ذلك، نحن نرى أن هؤلاء الذين يُظهرون معارفهم السريّة في المعارض ويتجسّسون للسؤال لن يدخلوا أبداً جماعة تحتوي على الأذكاء من الناس، ولن يجروا على كشف مُعتقداتهم النبيلة في حضورهم؛ ولكن عندما يرون أولاداً مُراهقين أو حشد من العبيد أو رفقة من الحمقى، فإنهم يندفعون ويدأون في الاستعراض. (ضد كيلسوس ٣ . ٥٠)

[In private houses also we see woolworkers, cobblers, laundry workers, and the most illiterate and bucolic yokels, who would not dare to say anything at all in front of their elders and more intelligent masters. But whenever they get hold of children in private and some stupid women with them, they let out some astonishing statements, as, for example, that they must not pay any attention to their father and school teachers. . . ; they say that these talk nonsense and have no understanding. . . . But, if they like, they should leave father and their school masters, and go along with the women and little children who are their play fellows to the wool dresser's shop, or to the cobbler's or the washerwoman's shop, that they may learn perfection. And by saying this they persuade them. (Against Celsus 3.56)] Page 41.

في البيوت الخاصة أيضاً نرى عمّال الصُوف، الإسكافيين، عمّال غَسَل الملابس وأكثر الفلاحين جهلاً وبدواة، الذين لن تأتيهم الجراءة في أن يتَمَوَّهوا بِبَيْتِ شَقَّةٍ في أمام ساداتهم الأكبر سنّاً والأكثر ذكاءً. لكنهم حالما يجدون صغار السنّ في السّرّ أو بعض النّساء الحمقى معهم، فإنهم يخرجون من أفواههم بعض التصريحات المثيرة للدهشة مثل أنّهم، على سبيل المثال، يجب ألا يولوا لحديث آبائهم وأساتذتهم في المدارس أي انتباه...؛ ويقولون إن هذه الأحاديث لا معنى لها وغير مفهومة... لكن، لو كانوا يُريدون، فينبغي أن يتركوا آباءهم وأساتذتهم في المدارس، وأن يذهبوا مع النساء والأطفال صغيري السن من زملاء لعبهم إلى محل الملابس الصوفية، أو إلى محل الإسكافي أو إلى محل غاسل الملابس، حيث يمكنهم تعلّم الكمال. ومن خلال قول ذلك يقنعونهم. (ضد كيلسوس ٣ . ٥٦)

[Origen replies that the true Christian believers are in fact wise (and some, in fact, are well educated), but they are wise with respect to God, not with respect to things in this world. He does not deny, in other words, that the Christian community is largely made up of the lower, uneducated classes.] Page 41.

يرد أوريجانوس بأن المسيحيين المؤمنون حقاً هم في الحقيقة حكماء (وبعضهم، في الواقع، من ذوي التعليم الجيد)، لكنهم حكماء فيما يتعلق بالله، وليس فيما يتعلق بالأشياء في هذا العالم. لم ينكر، بطريقة أخرى، أن المجتمع المسيحي يتشكل في الغالب من الطبقات الدنيا، غير المتعلمة.

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات